المحاضرة السابعة

## تاريخ المصطلح العلمي عند العرب وروافده

إن العرب حينما كانوا بداة منعزلين في مضاربهم في الجزيرة ،كانت لغتهم بدوية صافية ،هي الغاية في الفصاحة والسلامة والبلاغة والقوة.

ولا أريد (باللغة البدوية ) هنا، وصْف هذه اللغة الكريمة بالعقم الحضاري ، بل أريد بقولي : ( البدوية) أنها كانت بعيدة عن (مصطلحات حضارية) في شتى ألون المعرفة ، على الرغم من كون هذه اللغة الكريمة ،رفيعة مهذّبة بلغت الذروة في القوة والبيان.

فلما أشرق نور الإسلام اندفع العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها فاتحين محررين ،فاختلطوا بأقوام لهم أطوارهم وعندهم معارف جديدة على الفاتحين، اقتبسوا منهم ما ينفعهم في بناء دولتهم الناهضة، وبما يتفق مع التوحيد ،وتأنس به لغتهم .

ثم دخلت أقوام من أمم أخرى في دينهم الجديد، معهم من إرثهم الحضاري (لغة وحضارة)، فحرّك هذا التيار وجدان العرب إلى الأخذ بالوافد النافع من هؤلاء ،ويلتمس الباحث في شعر العرب قبل الإسلام شيئاً من ألوان (المصطلح) بما ألفوه من عِلْم ومعرفة في الإدارة والتجارة والقضاء والفلك.

وعندما نَعموا بالإسلام بدأت حياتهم تأخذ منعطفاً جديداً في الحياة ،فخُلقوا من جديد أو هكذا كانوا.

ففي القرآن الكريم طائفة من (المصطلحات) التي كانت عندهم ، ثم وضع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم –جمهرة من(مصطلحات) الفقه و التشريع في حياته ،حتى أصبحت مظنة من مظان الدرس الاصطلاحي في قوامها. وأظهر ألوان هذا الجديد من (المصطلح) الألفاظ الإسلامية.[1]

أما مراحل نشأة المصطلح العلمي عند العرب فتكون بدايتها أواسط القرن الأول الهجري . ففي هذا القرن كان الأمير خالد بن يزيد الأموي (ت٨٥هـ) الذي يُعدُّ أول من

[1] المقصود بها : الألفاظ التي كانت معروفة عند العرب قبل إسلامهم ،إلا أن الإسلام ألبسها معاني غير التي كانت عندهم من قبل ،مثل: الزكاة و الحج والإيمان ...إلخ . وهذا يدخل في التطور الدلالي لهذه الألفاظ.

اشتغل بالعلوم في الإسلام جيد الرأي ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء ،وكان أول فلاسفة الإسلام ،وترك خالد ثلاث رسائل في الكيمياء في إحداهن تعريف بمصطلحات هذه الصنعة ، وتعد هذه التعريفات أول عمل اصطلاحي في الإسلام. ومن أوائل المترجمين في الإسلام مولى اسمه : سالم بن عبد الرحمن ،كان يعرف اليونانية فنقل عنها بعض مؤلفات (أرسطو) إلى العربية. وهو الذي ترجم للأمير خالد رسائل في الطب والنجوم والكيمياء ، وكذلك لعمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ).

وكان سالم كاتباً في ديوان الخليفة هشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ) ، وله سابقة محمودة في التعريب والترجمة في الإسلام.

ونقل ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)ثلاثة كتب من مؤلفات أرسطو إلى اللغة العربية .وكانت حركة التعريب التي نهض بها عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ) تعد منعطفاً تاريخياً في تاريخ الحضارة الإسلامية له خطره العظيم في تثبيت سيادة الحكم ؛لأنها عملت على رفد العربية بالمصطلحات العلمية ثم أنها قادت إلى نشر العربية في أصقاع شتى، واضطر الناس (من غير العرب) إلى تعلم العربية ؛طمعاً في العمل في دواوين الدولة.

ففي العراق قام صالح بن عبد الرحمن البصري بتعريب ديوان الخراج وديوان الجند بتوجيه من الحَجّاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ). وتولى صالح ديوان الخَراج في العراق عندما تولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك(ت ٨٦هـ). وفي الشام نقل سليمان بن سعيد الخُشني الدواوين البيزنطية / اليونانية إلى العربية.

ثم تولى أمر كتابة الدواوين في الشام ، وهو أول عربي يتولاها، وكان يتولاها من قبل رجل من البيزنطيين.

أما في مصر فقد عرّب الدواوين فيها :عبد العزيز بن مروان الأموي ،وكان والياً عليها، إذ كانت دواوين مصر قبطية.

وتأتي بعد هذه الحركة العظيمة خطوة أخرى لا تقلّ خطراً عنها ،هي استقلال الحركة التجارية ،وذلك من خلال استبدال النقود (العُمْلة) البيزنطية بعملة عربية (الدينار العربي الإسلامي). وهذا تعبير عن السيادة العربية ،ولأجله نهض عبد الملك بن مروان إلى ضرب (سك) الدينار الإسلامي أول مرة في الإسلام كما كان الفاروق عمر بن

الخطاب –رضي الله عنه- أول من ضرب الدرهم، ونقش عبد الملك في الدينار الإسلامي سورة الإخلاص.

من هنا كانت البداية في تاريخ نشأة المصطلح العلمي عند العرب، ومعروف أن العرب بكّروا في تعريب ما تحتاج إليه حياتهم الجديدة من معارف، فكان للسياسة منه نصيب ،كما كان مثله للطب والرياضيات.

ولما جاء العباسيون دخل (المصطلح) في منعطف جديد فيه قوة وتخطيط، وأول من عرف بهذا المنحى الحضاري مؤسس الدولة العباسية أبو جعفر المنصور ،فشعر بأهمية التعريب في تثبيت قواعد ملكه ،وتلمس أهميته نمائه وتطوره ،فسارع إلى إتمام ما بدأ به الأمويون ،إذ نشطت حركة النقل والتعريب في عهده ،ثم سار على هَدْيه وخطاه الرشيد والأمين والمأمون الذين جعلوا من هذه الحركة حِرْفة وصناعة فأقاموا لها دور العلم ، كان من أظهرها أثراً وصيتاً بيت الحكمة في بغداد، وكان أئمة العربية لهم اليد البيضاء في هذه الحركة ،الذين وجدوا في لغة الوحي عناصر الحياة والتطور ،ممثلة في خصائصها، أمثال : السعة والشمول والاشتقاق والنحت والتوليد أكرم عَون وأسدّ مُعين.

فالمصطلح العلمي عرفه العرب في القرن الأول من الهجرة؛ لأن العلم والمصطلح صِنوان من جذر واحد، إذ لا يمكن استيعاب لغة العلم إلا بالمصطلح .

هذه المرحلة الأولى من تاريخ نشأة المصطلح العلمي عند العرب.

وأما المرحلة الثانية – وهي مرحلة النضج والوضوح – فتبدأ من قيام الدولة العباسية ،على وجه الدقة من بعد تأسيس بغداد سنة (ت١٥٠هـ)، وتنتهي عند مشارف القرن الرابع ، وقد تولى أمر صنعها المترجمون وعلماء اللغة وأهل الأدب وأهل المذاهب والفِرَق الإسلامية ثم الفلاسفة، وهؤلاء هم مصادر صُنع المصطلحات.

ويمكن إجمال روافد المصطلح العلمي العربي قديماً بما يأتي :

١-المترجمون

٢-علماء اللغة وأهل الأدب (وأهل الحديث والفقهاء)

٤-المذاهب والفرق الإسلامية ،كالمناطقة والكلاميين وأهل الحكمة (أي : الفلاسفة)، فحينما نقل التراث الفلسفي إلى العربية عكفوا عليه دارسين متنخلين لعيونه ،ثم ألفوا كتباً في نقده أو التعليق عليه أو التفسير لمبهمه إلا أنهم تلمسوا شيئاً من الحرج في فَهْم جُملة من تعريفاته ونصوصه، فنهضوا إلى وضع مصطلحات عربية تقابل المصطلح الدخيل ،فألفوا كتباً في الحدود والرسوم[٢].

[٢] ينظر كتاب :مصادر المصطلحات العلمية عند العرب، للدكتور عبدالله الجبوري.